يحب اكل لحم اخيه ميتا ومحبته لذلك فقد زايد على مجرد اكله كما ان اكله قد زايد
على تمزيقه فتامل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقته المعقول
فيه للمحسوس وتامل اخباره عنهم بلفظ اكل لحم الاخ ميتا ووصفهم بذلك
في اخر الاية والانكار عليهم في اولها ان يحب احدهم ذلك فكما ان هذا مكروه
في طباعهم قليف بحسبون ما هو مثله ونظير فاحتج عليهم بما كرهوه على ما
هو شبه لهم مما يحبونه بما هو اكره شيء اليهم وهو اشد شيء نفرة عنه فهكذا
يوجب العقل والفطر والحكمة ان يكونوا اشد شيء نفرة عن ما هو نظير وشبيه
وبالله التوفيق فصل ومنها قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء
ذلك هو الضلال البعيد فشبه تعالى اعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع
بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف فشبه سبحانه اعمالهم في حبوطها
وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على غير اساس من الايمان والاحتساب
ولكونها لغير الله عز وجل على امر برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه
على شيء منه وقت شدة حاجته اليه فلذلك قال لا يقدرون مما كسبوا على شيء
لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء فلا يرون له اثرا من ثواب ولا
فايدة نافعة فان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه موافقا لشرعه والاعمال
اربعة فواحد مقبول وثلاثة مردودة فالمقبول الخالص الصواب فالخالص
ان يكون لله لا لغيره والصواب ان يكون مما شرعه على لسان رسوله والثلاثة
المردودة ما خالف ذلك وفي تشبيهها بالرماد سر بديع وذلك للتشابه الذي بين
اعمالهم وبين الرماد في احراق النار واذهابها لاصل هذا وهذا فان اعمال
التي لغير الله وعلى غير امر طعمة للنار ويها تسعر النار على اصحابها فينشئ الله سبحانه
لهم من اعمالهم الباطلة نارا وعذابا كما ينشئ لاهل الاعمال الموافقة لامره التي هي
خالصة لوجهه من اعمالهم نعيما وروحا فاثرت النار في اعمال اولئك حتى جعلتها

رمادا فهم واعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار فصل
ومنها قوله سبحانه وتعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لان
الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر
على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة ان لا اله الا الله
فانها تثمر جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله يعتبر
وهو ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال كلمة طيبة شهادة
ان لا اله الا الله كشجرة طيبة وهو المومن اصلها ثابت قول لا اله الا الله في قلب
المومن وفرعها في السماء تقول يرفع بها عمل المومن الى السماء وقال الربيع بن انس
كلمة طيبة هذا اصل الايمان فالايمان الشجرة الطيبة فاصلها الثابت الذي لا
يزول الاخلاص فيه وفرعه في السماء حسنه الله والتشبيه على هذا القول اصح
واظهر واحسن فانه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة
الثابتة الاصل الباسقة الفرع في السماء علوا التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين
واذا تاملت هذا التشبيه رايته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في
القلب التي فروعها من الاعمال الصالحة صاعدة الى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر
الاعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها واخلاصه
فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاتها حتى رعايتها فمن رسخت هذه
الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها واتصبغ بها بصبغه
الله التي لا احسن صبغة منها فعرف حقيقة الاله التي بنتها قلبه لله وشهد بها
لسانه وصدقها جوارحه ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله ولطا
قلبه لسانه وبهذا النفي والاثبات وانقاد ذ جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طابقه
سالكة سبيل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا كما لا يبغي القلب سوى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)